

الترجمة الواقع والمأمول

د. رجاء مستور

جامعة البليدة 2

الملخص:

ساهمت الترجمة في بناء الحضارة العربية الإسلامية بفضل إسهام الحكام وتشجيعهم للمترجمين، فزخرت المكتبات العربية بعدد المؤلفات في جل التخصصات، وأصبحت اللغة العربية اللغة المنقول منها، إلا أن الكبوة التي عرفها العرب والمسلمون أخرت مسيرتهم الركب وأفقدتهم الأمل في تحقيق نهضة أخرى. فما هي الصعوبات التي تواجه الترجمة والمترجم؟ وما هو الممكن الذي قد يساعد على استرجاع اللغة العربية ريادتها؟.

Abstract:

Translation contributed to build the Arab-Islamic civilization, thanks to the contribution of the rulers who used to motivate the translators. The Arabic libraries, then, were enriched with many works in different fields, and the Arabic language became the language which from other cultures transmit. However, the Arab and the Muslim's delayed their progress, and their hope of achieving another renaissance faded away.

Therefore, what are the difficulties facing translation and translators, and what could help to restore the Arabic language leadership. .

*** **

مقدمة

الترجمة قديمة قدم المجتمعات البشرية، وهي نشاط مارسه البشر سواء عن طريق الإيماء أو الإشارة أو الكلام أو الكتابة على مر العصور، فتبادلوا المعلومات وتزاوجت الثقافات¹ وهي جسر ثقافي ممتد بين اللغات صنعت من خلاله حضارات على مدى فترات من التاريخ الإنساني، ولقد كان للعرب حظ فيها ولعل من مفعلات هذه الحركة:

1- النشاط التجاري: والذي كان صنعة العربي فسمح له بالتواصل اقتصاديا وجغرافيا ولغويا، وأشار عبد السلام كفا في كتابه في الأدب المقارن إلى

أن العرب كانوا يرتحلون للتجارة صيفا ويتأثرون بجيرانهم في مختلف نواحي الحياة².

2- الفتوحات الإسلامية: كانت الدعوة إلى الإسلام و توسع رقعة الفتوحات الشق الأكبر في انتشار الترجمة، فشهد العصر نشاطا ترجميا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم من منظريه و كان حريصا على التطبيق، فعن ثابت بن عبد الله عن زيد بن ثابت قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم: " إنه يأتيني كتب من أناس لا أحب أن يقرأها أحد، فهل تستطيع أن تعلم كتب العبرانية، أو قال السريانية؟ فقلت: نعم. قال: فتعلمتها في سبع عشرة ليلة"³ فحفز تابعيه على النهل من كل العلوم، قال ابن عمر رضي الله عنه: وان زيد بن ثابت يكتب الكتابين جميعا كتاب العربية و كتاب العبرانية⁴.

فكان زيد من أوائل العاملين في الميدان، ولم يمض قرن حتى أخذت العلوم اللغوية و الدينية تصنع أصولها، و أخذ العرب يلмон بما لدى الأمم المفتوحة من ثقافات متباينة، فمضوا يتقصونها، وينقلونها بكل موادها إلى لغتهم⁵.

• وبرزت شخصيات حاكمة شجعت أخرى عالمة و منها، خالد بن يزيد الملقب بحكيم آل مروان أرسل إلى الإسكندرية في طلب بعض الكتب في الطب و علم الصنعة (الكيمياء) لترجمتها إلى العربية و ذلك بعد ما أقصي عن الخلافة طواعية و يقول عنه:

- ابن النديم: وقد ذكر في الفهرس أن خالدا كان يسمى حكيم آل مروان وكان فاضلا في نفسه و له محبة في العلوم، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان الذين نزلو مصر و تفصحوا بالعربية و كان هذا أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة. - ابن خلكان: وصف خالد بن زيد بقوله: إنه كان أعلم قريش بفنون العلم وله كلام في صنعة الكيمياء و الطب و كان متقنا لهذين العلمين.

- الجاحظ: قال عنه إنه كان أول من أعطى الترجمة و الفلسفة، و قرب أهل الحكمة و رؤساء كل صنعة⁶ و لم تختلف الأمور في العهد العباسي كثيرا إن لم نقل نشطت أكثر من ذي قبل، فقد جعلت مجموعة من العوامل التاريخية و الحضارية

من بغداد في القرن التاسع ميلادي (القرن الثالث هجري) إحدى أكبر حواضر العصر، عاصمة الإمبراطورية الإسلامية وإحدى أهم المدن في العصر الوسيط وذلك بسبب تطورها وتمدها ونشاطها العلمي الفكري⁷ فخلفاء هذا العصر اهتموا ورعوا الفاعلين المحوريين في هذه الحركة: المترجمين وعدوا الترجمة لبنة من لبنات الدولة القوية.

فحذا الأمراء والوزراء حذو الخلفاء في أكبر مدن الدولة وكانوا يتنافسون في ذلك كما يتنافسون في فتح دور العلم، فصار لا بد للرجل المستنير الذي يعمل في مناصب الدولة إذ ذاك ويقوم في الأمة مقام الرجل القائد من أن يأخذ بحظ من هذه الثقافات جميعا⁸.

ما يسجل على العصرين اختلاف سمح بامتداد واتساع ونشاط الترجمة في العصر العباسي مقارنة بالأموي وهو أن الخلفاء العباسيين نظموا العملية في هيئة بعثات جماعية في حين أن المحاولات الترجمة الأموية بقيت فردية، ولعل بيت الحكمة الذي أنشأه هارون الرشيد من أكبر الأكر الأكر الأدلة على استيطان الانفتاح على العوالم والثقافات، فلم تكن رفوفا لرصف وتخزين المؤلفات وإنما كانت تضم غرفا تمتد بينها أروقة طويلة، خصصت بعضها للمحاضرات وبعضها للناسخين والمجلدين وأخرى للمترجمين، فكانت مدرسة بالشكل الذي عليه بعض المؤسسات الحالية، واحتلت الترجمة جزءا كبيرا من المنظومة الحضارية، فقد كان المأمون يعد الكنب غنيمة من الغنائم ويشترطها بندا من بنود وقف القتال.

فأكب المسلمون طيلة ثلاث قرون على ترجمة الآثار العلمية والفلسفية والأدبية والدينية التي خلفتها الحضارات القديمة وأفادوا من تراث إنساني ضخم تلقوه عن ست لغات معروفة في ذلك الحين وهي العبرية والسريانية والفارسية والهندية واللاتينية وأخيرا وخاصة اليونانية⁹ وإن ذكر الأعمال وأسماء العاملين عليها ليلزمه بحث بمجلدات.

وهكذا اجتمع العصبان
عصب الحروب وهو المال
عصب الحضارة وهي الترجمة

وتزاوجا و أنتجا تركيبة توشح بها العصر العباسي، فوسم بالعصر الذهبي، ولكن للأسف عرف هذا السبق هزة شرخت خط نماء البلدان العربية، و بقيت الهزات الارتدادية تضربنا إلى يومنا و سجل هذا "التوهج الحضاري كما هو معروف انحذار حضاري و علمي قابله نهضة أوروبية استقت من المنجز العربي في الترجمة خاصة لتنقل دفعة الترجمة إلى أوروبا حيث انعكست حركة الترجمة لتصبح من العربية إلى اللغات الأوروبية، و لقد وجد الأوروبيون النصوص العربية لا تقل حيوية عن النصوص الأصلية، فانتقل مركز الترجمة من بغداد إلى طليطلة بعد أن تأسست كلية المترجمين التي انشغلت بترجمة النصوص العربية إغريقية الأصل إلى اللاتينية"¹⁰

فترتب عن ذلك ثورة علمية و فكرية لأن المعارف الجديدة التي نقلت من العربية إلى اللاتينية أضاءت أمام الأوربي طريق الحياة، فأقبلوا على دراسة الحضارة الإسلامية بشغف بالغ و نهم شديد. كما هو التطور الطبيعي لأي فن أو علم، بدأت الدراسات النظرية الخاصة بالترجمة تظهر، و تتالت النظريات و الدراسات، و العالم العربي يئن تحت وطأة الإستدمار و التقهقرو الضعف حتى عصر الصناعة الذي ولد بفضل تضافر عوامل منها:

- البعثات و الرحلات العلمية.

- الطباعة.

- المدارس و المكتبات

وخاصة الترجمة التي انتشرت مرة أخرى العالم البشري من الانحطاط و نهضت به إلى التقدم و العصرية "فبعد أن كان الغربيون أخذوا منا الكثير من التقاليد العلمية و العادات الحضارية، انقلبت اليوم الموازين و تغيرت الأطوار و تبدلت الأحوال فاغتندينا نحن من يأخذ عنهم"¹¹.

فبعد أن كنا نترجم نصوصا في الفلسفة و الرياضيات و الطب و الفيزياء و علم الفلك أصبحنا عاجزين عن الاتفاق حول مصطلح، في ظل التقنيات و الوسائل التكنولوجية التواصلية الحديثة، و لعل عدم تمكن المترجمين أحيانا من اللغة المترجم عنها، و تعددت المصادر المترجمة و ثراء اللغة العربية من جهة و افتقار بعض

المترجمين إلى قواعد اللغة، وأسسها من جهة أخرى، عرقل حسن توظيف المادة ونتج عنها " فقدان الصيغة الملائمة لها والمعبرة عن دلالتها الأصلية، فكان أن تعددت الترجمات للمصطلح الواحد" ¹².

في ظل تعدد أنواع الترجمة أيضا منها:

- الترجمة الشفوية الفورية.
- الترجمة الكتابية.
- الترجمة العلمية.
- الترجمة الأدبية.
- الترجمة التحريرية.
- الترجمة التتبعية.
- الترجمة التشخيصية.
- الترجمة الحرة.
- الترجمة التشريرية.
- الترجمة الإستفادية.
- الترجمة التحليلية. ¹³

الترجمة أداة للتواصل الإنساني، ولا تتم إلا بتوافر عنصرين أساسيين:

1- النص الأصلي ← وهي اللغة التي يكتب بها النص الأصلي وهي اللغة الأصلية.

و

2- النص الهدف ← وهي اللغة التي يكتب بها النص الهدف وهي لغة الترجمة.

ولا يمكن التوفيق إلى ذلك إلا بوسيط وفاعل وهو: المترجم، إذ يعتبر المترجم وسيطا لغويا وثقافيا " يضطلع بمهام التلقي و التفسير و التأويل و النقل بكفاءة علمية من لغة المصدر إلى لغة الهدف" ¹⁴.

كما تتفق النظريات على أن الاتصال اللغوي لا تقتصر عناصره المؤثرة على المرسل والمرسل والمتلقي فحسب وإنما تشمل السياق والوسط الذي تنتقل

فيه الرسالة والوضوء والمؤثرات الخارجية التي تحول دون وصول رسالة المتلقي أو وصولها مشوشة، وهكذا بحثت نظريات الترجمة في السياق الثقافي والاجتماعي الذي تصاغ فيه الرسالة ومدى تأثير الترجمة من جراء توافق أو تباين اللغتين الناقلة والمنقول منها، من حيث بنياتها الصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية وما ينجم عن ذلك من ضرورة إحاطة المترجم بالوسط الثقافي والاجتماعي للغتين ليتمكن من سد الثغرات الموجودة في اللغة الناقلة عند الضرورة، فالمترجم في عملية التواصل هذه يؤدي دورين مختلفين، مستقبل من اللغة المترجم منها ومرسل في اللغة المترجم إليها.¹⁵

يقول الجاحظ في المترجم الذي يعد عصب الترجمة: " لا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة و ينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقول إليها حتى يكون فيها سواء وغاية".¹⁶

فما أصعب المهمة في زمن غزت فيه وسائل إعلامية وتكنولوجية حياة البشرية، و من أشد هذه الصعوبات حتى على المترجم الفنان والمثقف والدارس والمطلع والحاذق، ما يسمى باستحالة الترجمة intraduisibilité مثال منها، النصوص التي تتميز بمفردات ذات ثقافة شعبية منها:

أميمتي

فهي حسب السياق يقصد أمه

فتستحيل الترجمة إلى petite mère

لأن صاحب النص كان يفكر بلغته الشعبية (الجزائرية) فلا تؤدي الترجمة المعنى.

كما تواجه الأمثال الشعبية الموقف نفسه، مثال:

tu m'ad réchauffe le cœur



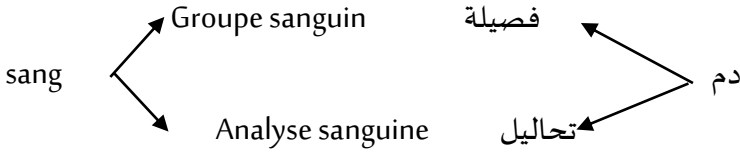
لغة بيئة باردة

أثلجت صدري



لغة بيئة ساخنة

مما قد يصعب من عمل المترجم قضية الاشتقاق واختلافه في اللغات.



فيستحتم على المترجم المتمكن من قواعد اللغتين و اشتقاقاتها و ثقافتها البيئية و سياقاتها و معانيها، فجهده مضاعف وهو أكثر تعقيدا من التأليف، فان وجدت صعوبات فلا توجد ترجمة ممتازة بل الأقل سوء و هي قابلة للتحسين و ليست نهائية، الترجمة العلمية نقل محسوس غير ملموس نقل دلالات و في كل حال سيحدث تقصير أو انحراف أثناء العملية، فلا ذنب للمترجم خاصة إذا التزم بالأمانة. فالترجمة أمانة و ليست خيانة كما يقال مثلها مثل التحقيق هو محاولة إخراج النص على الوجه الذي أراده مؤلفه قدر الاستطاعة فعلى المترجم أن يكون من الناحية:

1- العلمية واللغوية:

- أن يتقن اللغتين لغة النقل و لغة الأصل، فإذا نقل من اللغة الأصلية نصا فلسفيا عليه أن يكون ذا دراية و علم و معرفة بالفلسفة و تفاصيلها إضافة إلى معرفته التامة بقواعد اللغتين المنقول إليها و منها النحو و الصرف و البلاغة و الإنشاء.
- أن تكون له دراية و خبرة بعلم المصطلح.
- إن استغلق عليه أمر شرحه في الهامش مع التوضيح.

2- ثقافة معرفية:

- استشارة صاحب النص إن أمكن العودة إليه.
 - الاستعانة بأهل التخصص.
 - الإطلاع على السياق و الخلفية ثم المحتوى.
- إذا أراد المترجم أن يكون وفيا للترجمة السليمة فعليه أن يلتزم ببند و يعدها ميثاقا وهي:
- ترجمة الرديء برداءته دون تصرف.

- المترجم يملك الكلمات لا الأفكار، فلا يتدخل.
- الترجمة ليست شرحا وتأويلا، وليست بحثا في القاموس إنها الحياة.
- مزدوج اللغة ليس بالضرورة مترجما جيدا
- un bon bilingue n'est pas nécessairement un bon traducteur

لا يتحمل المترجم وحده مسؤولية النهوض باللغة و بالتالي بالأمة، وإن كانت مسؤولية الأعلى نسبة فهي تقدر ب 70% أما النسبة المتبقية فهي متصلة بهيئات الدولة فلقد سبق وأن أشرنا إلى ركيزة أساسية في النهوض بالعربية و بلغتها و تحقيقها الحضارة: إنه المال و التأطير كان الخلفاء يقربون أصحاب العلم و يغدقون عليهم العطاء و المال و يزنون أعمالهم ذهابا، لذا ازدهرت حقبة من تاريخنا العربي افتكت تاج الحضارة، و إن كان احتمال إحياء هذا الماضي الذي دون حروفه من ذهب أمرا سهلا، فإن مواكبة العصر و تحقيق مرتبة متقدمة يعد أقل صعوبة إذا عملت هذه الهيئات على تحيين نهج الخلفاء و نجمل ذلك في توصيات:

- الثقة في لغتنا و الاعتزاز بها.
- وضع خطة إستراتيجية تنموية تعبئ طاقة البلد و تتكون أساسا من نشاط علمي مجتمعي إبداعي.
- الاهتمام باللغات بداية من الأطوار التعليمية الأولى إلى غاية الجامعة.
- إنشاء مؤسسات و مدارس و معاهد للترجمة و تحسين المستوى.
- عقد لقاءات دورية مع المترجمين.
- تفعيل نشاط المجامع اللغوية و إنشاء أخرى.
- إنشاء هيئات خاصة بمراجعة الكتب المترجمة.
- بث برامج تربوية و نشاطات علمية في المؤسسات و وسائل الإعلام، تعني بالأطفال هواة اللغات و الترجمة.
- إجراء مسابقات في مجال الترجمة لتشجيع المترجمين.

خاتمة:

الترجمة فن تطبيقي يتطلب احترافية وأمانة بغرض تحقيق تكامل علمي ومعرفي مبني على الثقافة الإنسانية ولقد أثبتت اللغة العربية جدارتها وريادتها في هذا المجال وهي تنظر من يصادق على الصلاحية.

الهوامش:

- 1 الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، سالم العيس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص7.
- 2 في تاريخ الترجمة العربية، ممدوح أبو الوي نقلا عن مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 360، 2001.
- 3 توثيق الحديث، الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع، أبو عبد الله البصري الزهري، دار صادر، بيروت، 2/ص 358.
- 4 المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسبوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1441- 1990، 3- ص 476.
- 5 انظر، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعرفة بمصر- ط6، 1966، ص 98.
- 6 نقلا عن، الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، علي بن نايف الشعود/ سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، الكويت، 1986، 56/8.
- 7 الترجمة في العصر العباسي، مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة، مريم سلامة كار، ترجمة نجيب عزوي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1998، ص9.
- 8 تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ط10، ص 355.
- 9 تاريخ الفلسفة العربية، حنا الفاخوري، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1966، ص 232.
- 10 من الترجمة إلى التأثير، دراسات في الأدب المقارن، أحمد صالح الطامي، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1/2013، ص20، 21.
- 11 في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عبد المالك مرتاض، عالم المعرفة، ع 140 سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982، 2200.
- 12 بوشوشة بن جمعة، النقد الروائي في المغرب، إشكالية المفاهيم والأجناسية الرواية، النادي الأدبي في منطقة الباحة، المملكة العربية السعودية، وزارة الثقافة، الانتشار العربي، ط1، 2012، ص 123.
- 13 انظر حركة الترجمة في العصر العباسي، أورتك زينب لأعظمي، دار الحرف العربي، ط1، 2005، ص 69، 70.
- 14 الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط2، 1966، ص 76.

*** **